مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّامِنَة)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسِيرُ

[سُورَتَيِ: الْغَاشِيَةِ، وَالْفَجْرِ]

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ

* سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ تَنَاوَلَتْ مَوْضُوعَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ وَهُمَا:

١ - الْقِيَامَةُ وَأَحْوَالُهَا وَأَهْوَالُهَا، وَمَا يَلْقَاهُ الْكَافِرُ فِيهَا مِنَ الْعَنَاءِ وَالْبَلَاءِ، وَمَا يَلْقَاهُ الْمُؤْمِنُ فِيهَا مِنَ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ الْآيَاتِ.

٢ - الْأَدِلَّةُ وَالْبَرَاهِينُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ، فِي خَلْقِ الْإِبِلِ الْعَجِيبَةِ وَالسَّمَاءِ الْبَدِيعَةِ، وَالْجِبَالِ الْمُرْتَفِعَةِ، وَالْأَرْضِ الْمُمْتَدَّةِ الْوَاسِعَةِ، وَكُلُّهَا شَوَاهِدُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَجَلَالِ سُلْطَانِهِ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالتَّذْكِيرِ بِرُجُوعِ النَّاسِ جَمِيعًا إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

www.menhag-un.com

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا **فِي «سُورَةِ الْغَاشِيَةِ»**(١): ﴿**هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ**﴾: قَالَ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ: ﴿**هَلْ**﴾ هُنَا بِمَعْنَىٰ: قَدْ؛ أَيْ: قَدْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ.

وَالْغَاشِيَةُ: الْقِيَامَةُ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَىٰ الخَلَائِقَ بِأَهْوَالِهَا(٢).

وَقِيلَ: إِنَّ بَقَاءَ ﴿**هَلْ**﴾ هُنَا عَلَىٰ مَعْنَاهَا الاسْتِفْهَامِيِّ المُتَضَمِّنِ لِلتَّعْجِيبِ مِمَّا فِي خَبَرِهِ، وَالتَّشْوِيقِ إِلَىٰ اِسْتِمَاعِهِ أَوْلَىٰ(٣)، فَقَوْلَانِ:

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٥٢٠).

(٢) أخرج إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» بَابُ: (غش) (٢/ ٦٥٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٩٠)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿**ٱلْغَٰشِيَةِ**﴾: «**الْقِيَامَةُ**»، وهو قول قتادة، والضحاك، وابن زيد، واختاره الشوكاني، وعزاه لأَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ.

(٣) ويؤيده ما رُوي عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ امْرَأَةٍ تَقْرَأُ: ﴿**هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ**﴾، فَقَامَ يَسْمَعُ، وَيَقُولُ: «**نَعَمْ قَدْ جَاءَنِي**»، أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٠)، من طريق: أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ،...به، مرسلا، وأخرجه موصولا أبو طاهر السلفي في «الطيوريات» (٢/ رقم ٦٦٢)، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، والحديث لا يصح.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾:

١- أَيْ: قَدْ جَاءَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، فَـ﴿هَلْ﴾: بِمَعْنَىٰ: قَدْ.

٢- الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ ﴿هَلْ﴾ عَلَىٰ أَصْلِهَا الاسْتِفْهَامِيِّ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ التَّشْوِيقِ، وَمِنْ أَجْلِ التَّعْجِيبِ مِمَّا فِي الْخَبَرِ.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: التَّنْوِينُ فِي ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: تَنْوِينُ عِوَضٍ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيهِ؛ أَيْ: وُجُوهٌ يَوْمَ غَشَيَانِ الْغَاشِيَةِ خَاشِعَةٌ.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾: ﴿عَامِلَةٌ﴾: تَعْمَلُ عَمَلًا شَاقًّا، وَهُوَ جَرُّ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، وَالخَوْضُ فِي النَّارِ. ﴿نَّاصِبَةٌ﴾: تَعِبَة(١).

يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: هَلْ أَتَاكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرُ الْقِيَامَةِ الَّتِي تَغْشَىٰ النَّاسَ بِأَهْوَالِهَا، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾: تَدْخُلُ نَارًا مُتَنَاهِيَةً فِي الْحَرَارَةِ.

---

(١) أخرج ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (رقم ١٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨٢)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات المحدثين» (٢/ ٢٠٣)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾، قَالَ: «**لَمْ تَخْشَعْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا فَأَخْشَعَهَا وَأَنْصَبَهَا فِي النَّارِ، فَذَلِكَ عَمَلُهَا**»، وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول قتادة، وسعيد بن جبير، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل، واختاره الشوكاني.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾: ﴿ءَانِيَةٍ﴾: أَيْ مُتَنَاهِيَةٍ فِي الْحَرَارَةِ.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾: وَالضَّرِيعُ: نَوْعٌ مِنَ الشَّوْكِ، يُقَالُ لَهُ: الشِّبْرَقُ(١)، فَإِذَا يَبِسَ فَهُوَ الضَّرِيعُ(٢).

﴿لَّا يُسْمِنُ﴾: ذَلِكَ الطَّعَامُ، ﴿وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧].

وَالتَّدَرُّجُ هَاهُنَا فِيهِ مِنَ النِّكَايَةِ بِهِمْ، وَالزِّرَايَةِ عَلَيْهِمْ مَا فِيهِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ إِنَّمَا جَاءَ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ﴾، ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ﴾: قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ لَا يُسْمِنُ فَهُوَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، فَنَفَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾.

---

(١) (**الشِّبْرِقُ**) بكسر الشين والراء، علىٰ وزن: (فِعْلِل) كـ(زِبْرِجٍ): نَبْتٌ حِجَازِيٌّ يُؤْكَلُ وَلَهُ شَوْكٌ، وَإِذَا يَبِس سُمِّي: (**الضَّرِيعُ**)، انظر: «شمس العلوم» (٦/ ٣٣٦٤)، و«لسان العرب» (١٠/ ١٧٢) مادة: (شبرق)، و«القاموس المحيط» باب القاف، فصل الشين (١/ ٨٩٦).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٤)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٦٥) ، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (رقم ٥٥٣)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿ضَرِيعٍ﴾، قَالَ: «**الشِّبْرِقُ الْيَابِسُ**»، وذكره معلقا البخاري في «صحيحه» في (كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، سُورَةُ ٨٨)، وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول عكرمة، وقتادة، وأبو الجوزاء، وشريك بن عبد الله، وابن زيد، وعزاه الشوكاني لجُمْهُورِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ.

«وُجُوهُ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ ذَلِيلَةٌ بِالْعَذَابِ، مُجْهَدَةٌ بِالْعَمَلِ، تَعِبَةٌ، يُصِيبُهَا مَا يُصِيبُهَا مِنْ نَارٍ شَدِيدَةِ التَّوَهُّجِ، تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ شَدِيدَةِ الحَرَارَةِ، لَيْسَ لِأَصْحَابِ النَّارِ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ نَبْتٍ ذِي شَوْكٍ لَاصِقٍ بِالْأَرْضِ، وَهُوَ مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ وَأَخْبَثِهِ، لَا يُسْمِنُ بَدَنَ صَاحِبِهِ مِنَ الهُزَالِ، وَلَا يَسُدُّ جُوعَهُ وَرَمَقَهُ»(١).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾: نَاعِمَةٌ: ذَاتُ نِعْمَةٍ وَبَهْجَةٍ، وَهِيَ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: لِعَمَلِهَا الَّذِي عَمِلَتْهُ فِي الدُّنْيَا رَاضِيَةٌ.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: عَالِيَةٍ فِي قَدْرِهَا، وَعَالِيَةٍ فِي مَكَانِهَا، فَهِيَ عَالِيَةُ الْمَكَانِ وَالمَكَانَةِ، ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ أَيُّهَا المُخَاطَبُ ﴿فِيهَا لَاغِيَةً﴾؛ كَلِمَةَ لَغْوٍ أَوْ بَاطِلٍ.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: وَالمُرَادُ بِالْعَيْنِ: الْعُيُونُ تَجْرِي مِيَاهُهَا، وَتَتَدَفَّقُ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ المُسْتَلَذَّةِ.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾: عَالِيَةٌ مُرْتَفِعَةٌ فِي سَمْكِهَا، مُرْتَفِعَةٌ فِي قَدْرِهَا.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾: وَالْأَكْوَابُ: جَمْعُ كُوبٍ، وَهُوَ الْقَدَحُ الَّذِي لَا عُرْوَةَ لَهُ، وَمَوْضُوعَةٌ: أَيْ بَيْنَ أَيْدِهِمْ يَشْرَبُونَ مِنْهَا.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: وَالنَّمَارِقُ: جَمْعُ نُمْرُقَةٍ، وَهِيَ الْوِسَادَةُ، فَالنَّمَارِقُ أَيِ: الْوَسَائِدُ مَصْفُوفَةٌ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٢).

www.menhag-un.com

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: وَالزَّرَابِيُّ: الطَّنَافِسُ، وَالْبُسُطُ الْعِرَاضُ الْفَاخِرَةُ.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: أَيْ: كَثِيرَةٌ(١)، مَبْسُوطَةٌ(٢)، وَمُفَرَّقَةٌ فِي المَجَالِسِ(٣).

«وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتُ نِعْمَةٍ؛ لِسَعْيِهَا فِي الدُّنْيَا بِالطَّاعَاتِ، رَاضِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ، فِي جَنَّةٍ رَفِيعَةِ المَكَانِ وَالمَكَانَةِ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا كَلِمَةَ لَغْوٍ وَاحِدَةٍ، فِيهَا عَينٌ تَتَدَفَّقُ مِيَاهُهَا.

فِيهَا سُرُرٌ عَالِيَةٌ فِي مَكَانِهَا وَمَكَانَتِهَا، وَأَكْوَابٌ مُعَدَّةٌ لِلشَّارِبِينَ، وَوَسَائِدُ مَصْفُوفَةٌ، الْوَاحِدَةُ جَنْبَ الْأُخْرَىٰ، وَفِيهَا بُسُطٌ كَثِيرَةٌ مَفْرُوشَةٌ»(٤).

❁ ❁ ❁

(١) «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٨).

(٢) وهو قول قتادة، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨٨)، بإسناد صحيح.

(٣) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٢)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٤٥١).

(٤) «التفسير الميسر» (ص٥٩٢).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُخَاطِبُ اللهَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ قَائِلًا:قَدْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، وَهِيَ الْقِيَامَةِ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَغْشَىٰ كُلَّ شَيْءٍ بِأَهْوَالِهَا.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ بَعْضُ الْوُجُوهِ ذَلِيلَةً لِمَا اِعْتَرَىٰ أَصْحَابَهَا مِنَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ، وَهِيَ وُجُوهُ الْكُفَّارِ(١)، عَامِلَةٌ فِي الدُّنْيَا بِالمَعَاصِي، نَاصِبَةٌ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، تَعِبَةٌ تُعَانِي.

أَصْحَابُ هَذِهِ الْوُجُوهِ يَصْلَوْنَ نَارًا حَارَّةً، هِيَ أَشَدُّ مَا تَكُونُ فِي الحَرَارَةِ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ عَيْنٍ مُتَنَاهِيَةٍ فِي حَرَارَتِهَا، أَمَّا طَعَامُهُمْ فَلَيْسَ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ سِوَىٰ شَجَرِ الشَّوْكِ مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ وَأَبْشَعِهِ، قَدِ اِنْتَفَتْ مِنْهُ مَنْفَعَةُ الطَّعَامِ، فَلَا هُوَ بِالَّذِي يُفِيدُ الْجِسْمَ، وَلَا هُوَ بِالَّذِي يَدْفَعُ الجُوعَ.

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ حَالَ الْكُفَّارِ وَحَيَاتَهُمْ فِي الجَحِيمِ، ذَكَّرَ المُؤْمِنِينَ بِحَالِهِمْ فِي النَّعِيمِ، فَقَالَ: إِنَّ المُؤْمِنِينَ فِي حَالَةٍ مِنَ النَّعِيمِ يَبْدُو أَثَرُهَا عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ رَاضِينَ فِيهَا بِالنَّعِيمِ الَّذِي حَصَلُوا عَلَيهِ،

(١) وهو قول مقاتل، ورواية عن ابن عباس، واختاره الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٥٢١).

ثُمَّ أَخَذَ يُفَصِّلُ فِي أَلْوَانِ النَّعِيمِ، فَذَكَرَ أَنَّهُمْ فِي جِنَانٍ رَفِيعَةٍ عَالِيَةِ الْقَدْرِ، لَا يُسْمَعُ فِيهَا كَلِمَةُ لَغْوٍ، وَلَا يُسْمَعُ فِيهَا بَاطِلٌ بِحَالٍ، بَلْ فِيهَا الْعُيُونُ الْجَارِيَةُ الْمُتَدَفِّقَةُ فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ.

وَفِيهَا السُّرُرُ الْعَالِيَةُ النَّاعِمَةُ كَثِيرَةُ الْفُرُشِ، وَفِيهَا أَوَانِي الشُّرْبِ مُعَدَّةٌ لِمَنْ أَرَادَهَا مِنَ الشَّارِبِينَ، وَفِيهَا الْوَسَائِدُ مَصْفُوفَةٌ بَعْضُهَا إِلَىٰ جَنْبِ بَعْضٍ، وَفِيهَا الْبُسُطُ الْعِرَاضُ الْفَاخِرَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَمُتَفَرِّقَةٌ فِي المَجَالِسِ؛ لِكَثْرَتِهَا وَوَفْرَتِهَا.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ(١):

١- تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ، وَالجَزَاءِ بِذِكْرِ عَرْضٍ سَرِيعٍ لَهَا.

٢- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ شِدَّةِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ «الْغَاشِيَةُ»؛ لِأَنَّهَا تَغْشَىٰ النَّاسَ بِأَهْوَالِهَا.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: اِنْقِسَامُ النَّاسِ إِلَىٰ قِسْمَينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَعَ بَيَانِ مَا يُعَانِيهِ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، وَبَيَانُ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ مِنَ النَّعِيمِ، وَالْبَهْجَةِ، وَالسُّرُورِ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ مِمَّا يُؤْلِمُ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَغْوُ الْكَلَامِ وَكَذِبُهُ وَبَاطِلُهُ، وَهُوَ مَا يُنَزَّهُ عَنْهُ المُؤْمِنُونَ فِي الجَنَّةِ، كَمَا بَيَّنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا فِي الْآيَاتِ الَّتِي مَرَّتْ.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٦١).

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الآيات من: ١٧ إلى: (٢٦) نهاية السورة

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: وَالاسْتِفْهَامُ؛ لِلتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، وَالسِّيَاقُ لِتَقْرِيرِ أَمْرِ الْبَعْثِ، وَالاسْتِدْلَالِ عَلَيهِ.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: كَيْفَ خُلِقَتْ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيهِ مِنَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ، مِنْ عِظَمِ جُثَّتِهَا، وَمَزِيدِ قُوَّتِهَا، وَبَدِيعِ أَوْصَافِهَا.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾: فَوْقَ الْأَرْضِ بِلَا عَمَدٍ، عَلَىٰ وَجْهٍ لَا يَنَالُهُ الْفَهْمُ، وَلَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: عَلَىٰ الْأَرْضِ مُرْسَاةً رَاسِخَةً، لَا تَمِيدُ وَلَا تَمِيلُ وَلَا تَزُولُ، وَقَدْ أُقِيمَتْ بِهَذَا الشَّكْلِ الْبَدِيعِ.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: كَيْفَ بُسِطَتْ؟

«أَفَلَا يَنْظُرُونَ -الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ- إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ هَذَا الْخَلْقَ الْعَجِيبَ، وَإِلَىٰ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ هَذَا الرَّفْعَ الْبَدِيعَ، وَإِلَىٰ الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ فَحَصَلَ بِهَا الثَّبَاتُ لِلْأَرْضِ وَالاسْتِقْرَارِ، وَإِلَىٰ الْأَرْضِ كَيْفَ بُسِطَتْ، وَمُهِّدَتْ لِمَعَايِشِ الْإِنْسَانِ، وَالحَيَوَانِ، وَسَائِرِ أَلْوَانِ الحَيَاةِ»(٢).

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٥٢٣ - ٥٢٤).
(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٢).

www.menhag-um.com

﴿فَذَكِّرْ﴾: فَعِظْهُمْ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾: لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا ذَلِكَ.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: «وَالمُسَيْطِرُ، وَالمُصَيْطِرُ -بِالسِّينِ وَالصَّادِ-: المُسلَّطُ عَلَىٰ الشَّيْءِ؛ لِيُشْرِفَ عَلَيهِ، وَيَتَعَهَّدَ أَحْوَالَهُ»(١).

يَقُولُ تَعَالَىٰ: فَعِظْ يَا مُحَمَّدُ المُعْرِضِينَ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَىٰ إِعْرَاضِهِمْ، إِنَّمَا أَنْتَ وَاعِظٌ لَهُمْ، لَيْسَ عَلَيْكَ إِكْرَاهُهُمْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ(٢).

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾: وَهَذَا اِسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، لَكِنَّ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنِ الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ وَأَعْرَضَ مُدْبِرًا مُكَذِّبًا وَكَافِرًا ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾: وَهُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ دَائِمٌ، وَقَدْ عُذِّبُوا فِي الدُّنْيَا بِالجُوعِ وَالْقَحْطِ وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ.

وَأَمَّا الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ فَهُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ، «لَكِنَّ الَّذِي أَعْرَضَ عَنِ التَّذْكِيرِ وَالمَوْعِظَةِ، وَأَصَرَّ عَلَىٰ كُفْرِهِ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ فِي النَّارِ»(٣).

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾: أَيْ: إِنَّ إِلَيْنَا رُجُوعَهُمْ.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: جَزَاءَهُمْ بَعْدَ رُجُوعِهِمْ إِلَىٰ اللهِ بِالْبَعْثِ.

«إِنَّ إِلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ بَعْدَ المَوْتِ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا جَزَاءَهُمْ عَلَىٰ مَا عَمِلُوا»(٤).

---

(١) «الصحاح» (٢/ ٦٨٤) مادة: (سطر).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٢).

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

(٤) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

www.menhaj.com

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

لمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ حَالَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَنَعِيمَهَا، وَحَالَ أَهْلِ النَّارِ وَعَذَابَهَا عَجِبَ الْكُفَّارُ، وَكَذَّبُوا وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

فَذَكَّرَهُم بِصُنْعِهِ فِي أَنْفَسِ أَمْوَالِهِمْ، وَهِيَ الْإِبِلُ قَائِلًا: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ إِلَىٰ هَذَا المَخْلُوقِ الْعَجِيبِ فِي تَرْكِيبِهِ وَشِدَّةِ قُوَّتِهِ، وَحَمْلِهِ الْأَثْقَالَ، وَانْقِيَادِهِ إِلَىٰ الْقَائِدِ الصَّغِيرِ الضَّعِيفِ، فَإِنَّ مَنْ صَنَعَ هَذَا فِي الدُّنْيَا هُوَ الَّذِي صَنَعَ لِأَهْلِ الجَنَّةِ مَا صَنَعَ مِنَ النَّعِيمِ، وَوَسَائِلِ التَّرْفِيهِ.

ثُمَّ أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ السَّمَاءِ كَيْفَ رَفَعَهَا اللهُ رَفْعًا بَعِيدَ المدَىٰ، بِلَا رَكِيزَةٍ تَرْتَكِزُ عَلَيْهَا، وَمِنْ غَيْرِ عُمُدٍ تَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا.

ثُمَّ أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الجِبَالِ كَيْفَ جَعَلَهَا مَنْصُوبَةً عَلَىٰ الْأَرْضِ، لَا تَزُولُ وَلَا تَحُولُ، وَلِئَلَّا تَمِيدَ الْأَرْضُ.

ثُمَّ أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْأَرْضِ كَيْفَ مُهِّدَتْ بِحَيْثُ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَنَبَّهَ الْعَرَبَ بِهَذِهِ المُشَاهَدَاتِ الَّتِي تَقَعُ تَحْتَ حَوَاسِّهِمْ: الْإِبِلُ الَّتِي يَرْكَبُونَهَا، وَالسَّمَاءُ الَّتِي فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ، وَالجِبَالُ المنْصُوبَةُ أَمَامَهُمْ، وَالْأَرْضُ الَّتِي يَطَئُونَهَا بِأَقْدَامِهِمْ، نَبَّهَهُمْ أَنَّ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ خَالِقًا هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ دُونَ غَيْرِهِ.

ثُمَّ وَجَّهَ الْخِطَابَ لِنَبِيِّهِ ﷺ قَائِلًا: ذَكِّرِ النَّاسَ وَعِظْهُمْ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ، فَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ، وَلَيْسَ بِيَدِكَ خَلْقُ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ أَوْ إِكْرَاهُهُمْ عَلَيهِ، لَكِنْ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْعَمَلِ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ، وَكَفَرَ بالحَقِّ فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِ بَعْدَ التَّذَكُّرِ فَإِنَّ للهِ الْوِلَايَةَ عَلَيهِ، فَهُوَ يُعَذِّبُهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ فِي جَهَنَّمَ، فَرُجُوعُهُمْ إِلَىٰ اللهِ بَعْدَ الموْتِ، وَعَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ يَقَعُ جَزَاؤُهُمْ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ(١):

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ الْبَعْثِ، وَالجَزَاءِ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ الْأَدِلَّةِ المُوجِبَةِ لِلْإِيمَانِ، فَإِنَّ فِي الْآيَاتِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ النَّظَرِ فِي تِلْكَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي نَبَّهَ اللهُ عَلَيْهَا، وَأَرْشَدَ إِلَيْهَا مَا فِيهَا.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: الْأَمْرُ بِالتَّفْكِيرِ فِي مَخْلُوقَاتِ اللهِ المُشَاهَدَةِ، وَالاسْتِدْلَالِ بِذَلِكَ عَلَىٰ عِظَمِ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ.

٣- وَفِيهَا: الْأَمْرُ بِالتَّذْكِيرِ وَالموْعِظَةِ.

٤- وَفِيهَا: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَيْسَ مُسَيْطِرًا عَلَىٰ الْقُلُوبِ، إِنَّمَا أَمْرُ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، وَالدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ مُهِمَّتُهُ الدَّعْوَةُ دُونَ هِدَايَةِ الْقُلُوبِ، فَهِدَايَةُ الْقُلُوبِ للهِ وَحْدَهُ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: الْوَعِيدُ لِمَنْ تَجَبَّرَ، وَأَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ، مَعَ بَيَانِ أَنَّ مَصِيرَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهَذَا يَدْعُو إِلَىٰ الطَّاعَةِ وَالإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٦٣).

www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الْفَجْرِ

* سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ رَئِيسِيَّةٍ هِيَ:

١ - ذِكْرُ قِصَصِ بَعْضِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُلِ اللهِ، كَقَوْمِ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَبَيَانِ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالدَّمَارِ، بِسَبَبِ فُجُورِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾؟ الْآيَاتِ.

٢ - بَيَانُ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي ابْتِلَاءِ الْعِبَادِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، وَطَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ فِي حُبِّهِ الشَّدِيدِ لِلْمَالِ ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ الْآيَاتِ.

٣ - ذِكْرُ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَأَهْوَالِهَا وَشَدَائِدِهَا، وَانْقِسَامِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَىٰ سُعَدَاءَ وَأَشْقِيَاءَ وَبَيَانِ مَآلِ النَّفْسِ الشِّرِّيرَةِ، وَالنَّفْسِ الْكَرِيمَةِ الْخَيِّرَةِ ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ إِلَىٰ نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ...﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (مِنْ أَوَّلِ آيَةٍ إِلَىٰ آيَةِ (٣٠) نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ).

www.menhag-un.com

سُورَةُ الْفَجْرِ

مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا **فِي «سُورَةِ الْفَجْرِ»**(١): ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾: فَأَقْسَمَ رَبُّنَا ﷻ بِالْفَجْرِ، وَهُوَ الْوَقْتُ الْمَعْرُوفُ، وَهُوَ الصُّبْحُ، وَسُمِّيَ بِالْفَجْرِ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ اِنْفِجَارِ الظُّلْمَةِ عَنِ النَّهَارِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ(٢).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «يُرِيدُ فَجْرَ يَوْمِ النَّحْرِ»(٣).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤١٧ - ٤٢١)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٢٦ - ٥٣١).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم كما في «الدر» (٨/ ٤٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٢، رقم ٣٩٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ رقم ٣٤٦٩)، وفي «فضائل الأوقات» (رقم ١٦٨)، من طريق: خَلِيفَةَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي نَصْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، قَالَ: «**هُوَ الْفَجْرُ الَّذِي تَرَوْنَ مِنَ الْمَشْرِقِ يَقُولُ: فَجْرُ النَّهَارِ**»، وهو قول عكرمة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٨)، وصح عن مجاهد أيضا مثل قول ابن عباس ﷺ المتقدم، أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٦)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، مِثْلَهُ.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: أَغْلَبُ المُفَسِّرِينَ عَلَىٰ أَنَّهَا عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ(١).

﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾: فَأَقْسَمَ بِكُلِّ شَفْعٍ وَوَتْرٍ(٢)، وَقَالَ جَمْهَرَةُ المُفَسِّرِينَ: الشَّفْعُ: يَوْمُ النَّحْرِ، وَالْوَتْرُ: يَوْمُ عَرَفَةَ(٣).

---

(١) أخرج أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٧، رقم ١٤٥١١)، والبزار في «مسنده» (٣/ ٢٢٨٦/ كشف الأستار)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٣٣٥، رقم ١١٦٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٢٠، رقم ٧٥١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ رقم ٣٤٦٨)، وفي «فضائل الأوقات» (رقم ١٧٠)، من طريق: زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ، عَنْ عَيَّاش بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ خَيْر بْنِ نُعَيْمٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الْأَضْحَىٰ، وَالْوَتْرَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ**».

قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٢٠٥، رقم ١٤٨٧): «وَهَذَا سَنَد لَا بَأْس بِرِجَالِهِ»، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٩١): «هَذَا إِسْنَادٌ رِجَالُهُ لَا بَأْسَ بِهِمْ، وَعِنْدِي أَنَّ الْمَتْنَ فِي رَفْعِهِ نَكَارَةٌ»، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣١٧٨، و٣٩٣٨)، وقال: «منكر»؛ لعنعنة أبي الزبير، وهو مدلس.

هو قول ابن عباس، وابن الزبير، ومسروق، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، واختاره الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٧)، وقال: «لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَيْهِ».

(٢) قال ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٠) بعد ذكر أقوال أهل العلم: «...، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَقْسَمَ بِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ نَوْعًا مِنَ الشَّفْعِ وَلَا مِنَ الْوَتْرِ دُونَ نَوْعٍ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، وَكُلُّ شَفْعٍ وَوَتْرٍ فَهُوَ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِ مِمَّا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ إِنَّهُ دَاخِلٌ فِي قَسَمِهِ هَذَا؛ لِعُمُومِ قَسَمِهِ بِذَلِكَ».

(٣) ويؤيده حديث جابر رضي الله عنه المتقدم: «**الْوَتْرَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ**»، وهو قول =

فَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالْفَجْرِ، وَبِاللَّيَالِي الْعَشْرِ، وَبِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾: أَيْ: يَمْضِي، وَيَسِيرُ مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا، يَسْر: «إِذَا سَارَ وَذَهَبَ»(١).

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾: وَالاسْتِفْهَامُ لِتَقْرِيرِ تَعْظِيمِ مَا أَقْسَمَ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَفْخِيمِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ المَذْكُورَةِ، ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾: لِذِي عَقْلٍ، وَلُبٍّ، وَحِلْمٍ(٢).

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: قَومُ هُودٍ، أَوْ هُمْ عَادٌ الْأُولَىٰ، وَيُقَالُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ: عَادٌ الْأُخْرَىٰ، نَبِيُّهُمْ هُودٌ عليه السلام، كَذَّبُوهُ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ(٣).

=

ابن عباس، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والضحاك.

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٥٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠١)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿إِذَا يَسۡرِ﴾، يَقُولُ: «إِذَا سَارَ»، وهو قول أبي العالية، وابن زيد، وروي عن ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، نحوه.

(٢) قال الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٦٠): «...، وكله يرجع إلىٰ أمر واحد من العقل، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: (إِنَّهُ لَذُو حِجْرٍ): إِذَا كَانَ قَاهِرًا لِنَفْسِهِ ضَابِطًا لَهَا، كأنه أخذ من قولك: (حجرت عَلَىٰ الرجل)»، وَمِنْهُ: سُمِّيَ (الْحَجَرُ) لِامْتِنَاعِهِ بِصَلَابَتِهِ، وَمِنْهُ: (حَجَرَ الْحَاكِمُ عَلَىٰ فُلَانٍ)، أَيْ: مَنَعَهُ.

(٣) قال الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٥٢٩)، في قوله: ﴿بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾: «قَرَأَ الْجُمْهُورُ بِتَنْوِينِ: (عَادٍ) عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ (إِرَمَ) عَطْفَ بَيَانٍ لِـ(عَادٍ)، وَالْمُرَادُ بِـ(عَادٍ): «اسْمُ أَبِيهِمْ، وَ(إِرَمُ): اسْمُ الْقَبِيلَةِ أو بدلا مِنْهُ»، وَامْتِنَاعُ صَرْفِ (إِرَمَ)؛ لِلتَّعْرِيفِ وَالتَّأْنِيثِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِـ(عَادٍ): «أَوْلَادُ عَادٍ»، وَهُمْ: «عَادٌ الْأُولَىٰ»، وَيُقَالُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ: «عَادٌ

=

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾: ﴿إِرَمَ﴾: اِسْمٌ آخَرُ لِعَادٍ الْأُولَىٰ(١)، أَوِ اِسْمُ بَلْدَتِهِمْ(٢)، أَوْ هُوَ عَادُ بْنُ إِرَمَ؛ تَسْمِيَةً لَهُمْ بِاسْمِ جَدِّهِمْ(٣).

=

الْأُخْرَىٰ»، فَيَكُونُ ذِكْرُ (إِرَمَ) عَلَىٰ طَرِيقَةِ عَطْفِ الْبَيَانِ أَوِ الْبَدَلِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ عَادُ الْأُولَىٰ لَا عَادُ الْأُخْرَىٰ.

وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مُضَافٍ عَلَىٰ كِلَا الْقَوْلَيْنِ: أَيْ أَهْلِ إِرَمَ، أَوْ سِبْطِ إِرَمَ؛ فَإِنَّ (إِرَمَ) هُوَ جَدُّ (عَادٍ)، لِأَنَّهُ عاد بن إرم بن عوص بن سام ابن نُوحٍ».

(١) قَالَ قَتَادَةُ: «﴿إِرَمَ﴾: **اسْمُ قَبِيلَةٍ مِنْ عَادٍ**»، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٦٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، بإسناد صحيح، وهو قول السدي، ومقاتل، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٥)، فقال:

«وَأَشْبَهُ الْأَقْوَالِ فِيهِ بِالصَّوَابِ عِنْدِي: أَنَّهَا: «اسْمُ قَبِيلَةٍ مِنْ (عَادٍ)»، وَلِذَلِكَ جَاءَتِ الْقِرَاءَةُ بِتَرْكِ إِضَافَةِ عَادٍ إِلَيْهَا، وَتَرْكُ إِجْرَائِهَا، وَأَمَّا اسْمُ: (عَادٍ) فَلَمْ يُجْرَ؛ إِذْ كَانَ اسْمًا أَعْجَمِيًّا، وَلَوْ كَانَتْ (إِرَمُ): اسْمَ بَلْدَةٍ، أَوِ اسْمَ جَدٍّ لِـ(عَادٍ)؛ لَجَاءَتِ الْقِرَاءَةُ بِإِضَافَةِ (عَادٍ) إِلَيْهَا، كَمَا يُقَالُ: هَذَا عُمَرُ وَزُبَيْدٌ وَحَاتِمُ طَيِّئٍ وَأَعْشَىٰ هَمْدَانَ، وَلَكِنَّهَا اسْمُ قَبِيلَةٍ مِنْهَا، فِيمَا أَرَىٰ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ، وَاللهُ أَعْلَمُ، فَلِذَلِكَ أَجْمَعَتِ الْقُرَّاءُ فِيهَا عَلَىٰ تَرْكِ الْإِضَافَةِ، وَتَرْكِ الْإِجْرَاءِ».

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٩٥): «وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ».

(٢) اختلف الذين قالوا ذلك في البلدة التي عُنِيت بذلك علىٰ ما يأتي إن شاء الله.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ، يَقُولُ اللهُ: ﴿بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾: «**إِنَّ عَادَ بْنَ إِرَمَ بْنِ عَوْصَ بْنِ بَسَّامِ بْنِ نُوحٍ**»، وهو قول السدي.

وَقِيلَ: إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ: دِمَشْقُ(١)، أَوْ هِيَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ(٢)، أَوْ هِيَ أُمَّةٌ(٣).

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: الْقَدِيمَةُ(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢١٧-٢١٨)، بإسناد صحيح، عَنِ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، ﴿بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾، قَالَ: «**دِمَشْقُ**»، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٦) لعبد بن حميد، وهو قول عكرمة، ومالك بن أنس، وروي عن سعيد بن المسيب، وخالد بن معدان مثله.

(٢) أخرجه ابن وهب في «الجامع - تفسير القرآن» رواية سحنون (٢/ رقم ٢٤٩)، ومن طريقه: الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، بإسناد صحيح، عَنِ محمد بن كعب الْقُرَظِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: «﴿إِرَمَ﴾: **الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ**».

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، بإسناد ضعيف، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِرَمَ﴾ قَالَ: «**أُمَّةٌ**»، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٥) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وقد صح عن مجاهد أنه قال: «معناها القديمة»، ويأتي إن شاء الله.

(٤) أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٧)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِرَمَ﴾، يَعْنِي: «**الْقَدِيمَةَ**»، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٨٩)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٠٥) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

وقد جمع بين هذا القول والذي قبله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٤٠)، فقال: «...، والقول الثاني: أنه اسم أمة من الأمم، ومعناه: القديمة، قاله مجاهد»، وكذا ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٩٥).

وَ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾: ذَاتُ الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ(١)، أَوْ كَانُوا أَهْلَ عُمُدٍ وَخِيَامٍ(٢)، مَدِينَتُهُمْ مُحْكَمَةُ الْبُنْيَانِ، ذَاتُ أَعْمِدَةٍ طِوَالٍ مَنْحُوتَةٍ(٣).

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ﴾: لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ فِي الطُّولِ وَالْقُوَّةِ(٤).

---

(١) أخرج الطبري في «تفسير» (٢٤/ ٤٠٦)، بإسناد صحيح، عن الضحاك، فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾، قال: «يَعْنِي: **الشِّدَّةَ وَالْقُوَّةَ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٠٦) لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٧)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٦)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾، قَالَ: «**كَانُوا أَهْلَ عَمُودٍ** -أي خيام-، **لَا يُقِيمُونَ**»، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٨٩)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٠٥) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَالْكَلْبِيِّ، والفراء، وَرِوَايَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٦ - ٤٠٧)، وقال: «...، لأن المعروف في كلام العرب من (العماد)، ما عمل به الخيام من الخشب والسواري التي يحمل عليها البناء».

(٣) قَالَه ابْنُ زَيْدٍ، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٦)، بإسناد صحيح.

(٤) فالضمير في ﴿مِثْلُهَا﴾ عائد على (إرم)، وهي قبيلة من (عاد)، كما تقدم، وهو قول قتادة، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٠٠) مختصرا، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٧)، بإسناد صحيح، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٠٥) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وقاله أيضا الحسن، ومقاتل، واختاره ابن جرير الطبري، وابن كثير، والشوكاني.

﴿وَثَمُودَ﴾: يَعْنِي: وَبِثَمُودَ، ﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: وَذَكَرَ مَا ذَكَرَ، وَبِثَمُودَ؛ أَيْ: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِثَمُودَ ﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ﴾؟

وَجَابَ الشَّيْءَ: قَطَعَهُ، وَجَابَ الصَّخْرَةَ: نَقَبَهَا.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾: ﴿بِٱلْوَادِ﴾: هُوَ وَادِي الْقُرَىٰ.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾: كَانَ يُعَذِّبُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ(١).

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾: ﴿طَغَوْاْ﴾: تَجَاوَزُوا الحَدَّ بِالْعَصَبِيَّةِ وَالْجَبَرُوتِ.

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٩ - ٤١٠)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾، قَالَ: «**كَانَ يُوتِدُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ**»، وهو قول سعيد بن جبير، والربيع بن أنس، والسدي، ومقاتل، والفراء، والزجاج.

ويؤيده ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٢ - ٥٢٣، رقم ٣٩٢٩)، بإسناده، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، فِي قَوْلِهِ: ﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾، قَالَ: «**وَتَدَ فِرْعَوْنَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ، ثُمَّ جَعَلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا رَحًى عَظِيمًا حَتَّىٰ مَاتَتْ**».

وهذا إسناد غريب من قول ابن مسعود؛ فقد أخرجه عبد الرزاق في «المصنف - جامع معمر» (٢٠٤٤٥)، وفي «التفسير» (٣/ رقم ٣٦٠٤)، ومن طريقه: الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٩)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: «**وَتَّدَ فِرْعَوْنُ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ**،...» فذكره، مرسلا.

فَيَكُونُ المَوْصُولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الَّذِينَ طَغَوا، يَكُونُ المَوْصُولُ مُرَادًا بِهِ: عَادًا، وَإِرَمَ، وَثَمُودَ، وَفِرْعَوْنَ، وَقَدْ يَكُونُ عَائِدًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾: لَوْنًا مِنَ الْعَذَابِ صَبَّهُ عَلَيْهِمْ، «جَعَلَ سَوْطَهُ الَّذِي ضَرَبَهُمْ بِهِ الْعَذَابَ»(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾: يَرَىٰ، وَيَسْمَعُ مَا تَقُولُ، وَتَفْعَلُ، وَتَهْجِسُ بِهِ الْعِبَادُ، يَرْقُبُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، وَيُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ(٢).

﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾: «أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِوَقْتِ الْفَجْرِ، وَباللَّيَالِي الْعَشْرِ الْأُولَىٰ مِنْ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ وَمَا شَرُفَتْ بِهِ، وَبِكُلِّ شَفْعٍ وَوَتْرٍ، وَباللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي ظَلَامُهُ، وَيَسْرِي بِظَلَامِهِ، أَلَيْسَ فِي الْأَقْسَامِ المَذْكُورَةِ مَقْنَعٌ لِذِي عَقْلٍ؟!»(٣).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾: «أَلَمْ تَرَ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِقَوْمِ عَادٍ، قَبِيلَةِ إِرَمَ ذَاتِ الْقُوَّةِ، وَالْأَبْنِيَةِ

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٢).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، يَقُولُ: «يَرَىٰ وَيَسْمَعُ»، وهو قول الحسن.

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

المَرْفُوعَةِ عَلَىٰ الْأَعْمِدَةِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ فِي عِظَمِ الْأَجْسَادِ، وَقُوَّةِ الْبَأْسِ، وَوَفْرَةِ الْعَتَادِ؟»(١).

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾: «فَبَيَّنَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا فَعَلَ بِهَؤُلَاءِ، وَبِثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ؛ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِثَمُودَ، قَوْمِ صَالِحٍ الَّذِينَ قَطَعُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي، وَاتَّخَذُوا مِنْهُ بُيُوتًا، وَبِفِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ صَاحِبِ الجُنُودِ، الَّذِينَ ثَبَّتُوا مُلْكَهُ، وَقَوَّوْا لَهُ أَمْرَهُ»(٢).

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اِسْتَبَدُّوا، وَظَلَمُوا فِي بِلَادِ اللهِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا بِظُلْمِهِمُ الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ عَذَابًا شَدِيدًا، إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَبِالمِرْصَادِ لِمَنْ يَعْصِيهِ، يُمْهِلُهُ قَلِيلًا، ثُمَّ يَأْخُذُهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ»(٣).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالْفَجْرِ، وَبِعَشْرِ ذِي الحِجَّةِ، وَيَوْمِ النَّحْرِ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ، وَبِاللَّيْلِ إِذَا ذَهَبَ وَسَارَ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيرِ اللهِ، ثُمَّ عَقَّبَ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَقْسَامِ بِقَوْلِهِ: هَلْ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ الَّتِي أَقْسَمْتُ بِهَا قَسَمٌ مُقْنِعٌ يَكْتَفِي بِهِ فِي الْقَسَمِ أَصْحَابُ الْعُقُولِ؟

ثُمَّ أَخَذَ يُخَوِّفُ المُشْرِكِينَ أَهْلَ مَكَّةَ؛ بِذِكْرِ قِصَّةِ عَادِ إِرَمَ، وَهِيَ عَادٌ الْأُولَىٰ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللهُ لما خَالَفُوا رَسُولَهُمْ هُودًا.

وَقَدْ كَانُوا أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَشَدَّ قُوَّةً مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ، وَوَجَّهَ الخِطَابَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَامٌّ قَائِلًا: أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ كَيْفَ أَهْلَكَ رَبُّكَ، وَمَالِكُ أَمْرِكَ عَادًا الْأُولَىٰ -وَهُمْ وَلَدُ عَادِ بْنِ إِرَمَ- لمَّا كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ هُودًا؟- أَنْجَاهُ اللهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَأَهْلَكَ المُكَذِّبِينَ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ.

وَذَكَرَ اللهُ قِصَّتَهُمْ فِي الْقُرْآنِ؛ لِيَعْتَبِرَ بِمَصِيرِهِمُ المُؤْمِنُونَ، وَفَعَلَ بِثَمُودَ وَهُمْ قَوْمُ نَبِيِّ اللهِ صَالِحٍ كَمَا فَعَلَ بِعَادٍ مِنَ الْإِهْلَاكِ، وَصَفَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْطَعُونَ الصَّخْرَ بِوَادِي الْقُرَىٰ، وَيَنْحِتُونَ مِنْهُ بُيُوتَهُمْ، وَكَمَا فَعَلَ بِعَادٍ وَثَمُودَ فَعَلَ

بِفِرْعَوْنَ؛ حَيْثُ أَهْلَكَهُ اللهُ بِالْغَرَقِ لمَّا عَصَىٰ رَسُولَ اللهِ مُوسَىٰ عليه السلام، وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ ذُو الْأَوْتَادِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ أَوْتَادٌ يُعَذِّبُ النَّاسَ بِهَا.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَفِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ طَغَوا فِي الْأَرْضِ، وَتَجَاوَزُوا الْقَدْرَ، وَالحَدَّ فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَكْثَرُوا الْأَذَىٰ وَالجَوْرَ، وَالْفُجُورَ، وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ بِالْإِفْسَادِ.

وَالْفَسَادُ يَشْمَلُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْإِثْمِ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ، وَانْتَقَمَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ، وَتَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ الْكُفَّارَ، وَكُلَّ مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ وَيَرْتَكِبُ نَهْيَهُ بِأَنَّهُ لَهُ بِالمِرْصَادِ يَرْصُدُ خَلْقَهُ فِيمَا يَعْمَلُونَ، وَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ وَسَعْيِهِ يَوْمَ تُعْرَضُ عَلَيهِ الخَلَائِقُ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ(١):

١- فِي الْآيَاتِ: تَعْظِيمٌ وَتَشْرِيفٌ لِلْفَجْرِ وَمَا بَعْدَهُ؛ حَيْثُ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ، وَإِذَا أَقْسَمَ اللهُ بِشَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ عَظَمَتِهِ وَشَرَفِهِ.

٢- وَفِيهَا: فَضْلُ اللَّيَالِي الْعَشْرِ مِنْ أَوَّلِ ذِي الحِجَّةِ إِلَىٰ الْعَاشِرِ مِنْهَا.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ المَخْلُوقَ مَهْمَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، وَمَنَعَةٍ فَإِنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ عَذَابِ اللهِ، مَعَ بَيَانِ مَظَاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ فِي إِهْلَاكِ الْأُمَمِ الْعَاتِيَةِ، وَالشُّعُوبِ الْفَاجِرَةِ الظَّالِمَةِ، وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِقُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْبَعْثِ وَالجَزَاءِ وَالتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ، وَهَذَا هُوَ مَا أَنْكَرَهُ أَهْلُ مَكَّةَ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: الْوَعِيدُ لِمَنْ عَصَىٰ، وَتَكَبَّرَ، وَبَغَىٰ، وَتَجَبَّرَ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ.

٥- وَفِيهَا: أَنَّ اللهَ يُحْصِي أَعْمَالَهُ، وَيُجَازِيهِ عَلَيْهَا.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَأْخُذَ الْعِبْرَةَ، وَالْعِظَةَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَيَبْتَعِدُ عَنِ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا، وَنَفَّرَتْ مِنْهَا؛ حَتَّىٰ لَا يَحِلَّ بِهِ مَا حَلَّ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٦٦).

www.menhag-un.com

الآيات من: ١٥ إلى: ٢٠

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.

www.menhag-un.com

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا اخْتَبَرَهُ رَبُّهُ وَامْتَحَنَهُ بِالنِّعْمَةِ، فَأَكْرَمَهُ بِالمَالِ وَالجَاهِ وَالصِّحَّةِ، وَمَتَّعَهُ بِمَا وَسَّعَ عَلَيهِ وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ حِينَئِذٍ: رَبِّي أَكْرَمَنِي بِمَا أَعْطَانِي وَحَبَانِي وَأَنْعَمَ عَلَيَّ.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾: بِالْفَقْرِ، ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾: أَيْ: ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾: أَيْ: أَذَلَّنِي بِالْفَقْرِ.

﴿كَلَّا﴾: لَمْ أَبْتَلِهِ بِالْغِنَىٰ؛ لِكَرَامَتِهِ، وَلَمْ أَبْتَلِهِ بِالْفَقْرِ؛ لِهَوَانِهِ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِهَانَةَ لَا يَدُورَانِ عَلَىٰ الْمَالِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ، وَلَكِنَّ الْفَقْرَ وَالْغِنَىٰ بِتَقْدِيرِهِ فَيُوَسِّعُ عَلَىٰ الْكَافِرِ لَا لِكَرَامَتِهِ، وَيَقْدُرُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ لَا لِهَوَانِهِ، إِنَّمَا يُكْرِمُ المَرْءَ بِطَاعَتِهِ، وَيُهِينُهُ بِمَعْصِيَتِهِ(٢).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٢١)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٣٤).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٣)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «**مَا أَسْرَعَ مَا كَفَرَ ابْنُ آدَمَ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: كَلَّا إِنِّي لَا أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِكَثْرَةِ الدُّنْيَا، وَلَا أُهِينُ مَنْ أَهَنْتُ بِقِلَّتِهَا، وَلَكِنْ إِنَّمَا أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِطَاعَتِي، وَأُهِينُ مَنْ أَهَنْتُ بِمَعْصِيَتِي**»، وهو قول الحسن، ومجاهد، واختاره ابن جرير الطبري.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾: «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا اخْتَبَرَهُ رَبُّهُ بِالنِّعْمَةِ، وَبَسَطَ لَهُ رِزْقَهُ، وَوَسَّعَ عَلَيهِ فِيهِ، وَجَعَلَهُ فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ، فَيَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ لِكَرَامَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾: وَأَمَّا إِذَا مَا اخْتَبَرَهُ فَضَيَّقَ عَلَيهِ رِزْقَهُ، فَيَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ لِهَوَانِهِ عَلَىٰ اللهِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾»(١).

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: وَهُنَا الْتِفَاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ الخِطَابِ، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَانَ قَبْلُ عَنِ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْغَيْبَةِ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾، ثُمَّ جَاءَ الالْتِفَاتُ إِلَىٰ الخِطَابِ، ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ بِقَصْدِ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ، ﴿لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: لَا تُحْسِنُونَ إِلَيْهِ، وَلَا تُعْطُونَهُ حَقَّهُ.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: وَلَا تَتَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ المِسْكِينِ مِنَ «الحَضِّ»؛ وَهُوَ الحَثُّ، لَا يَحُثُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَىٰ طَعَامِ المِسْكِينِ، وَ«طَعَام»: إِمَّا اِسْمُ مَصْدَرٍ عَلَىٰ إِطْعَامٍ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ إِطْعَامِ المِسْكِينِ، أَوْ هِيَ اِسْمٌ لِلْمَطْعُومِ.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾: وَالتُّرَاثُ: الميرَاثُ، وَالْمُرَادُ بِهِ: أَمْوَالُ الْيَتَامَىٰ الَّذِينَ يَرِثُونَهُ مِنْ قَرَابَاتِهِمْ، وَكَذَلِكَ أَمْوَالُ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ، وَيَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

www.menhag-un.com

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾: أَكْلًا لمًّا: أَكْلًا شَدِيدًا، بِنَهَمٍ وَطَمَعٍ.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: جَمًّا: كَثِيرًا مَعَ حِرْصٍ، وَشَرَهٍ.

فَقَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا مُعَقِّبًا: «لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ الْإِنْسَانُ، بَلِ الْإِكْرَامُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَالْإِهَانَةُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، وَأَنْتُمْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، وَلَا تُحْسِنُونَ مُعَامَلَتَهُ، وَلَا يَحُضُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَىٰ إِطْعَامِ المِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ حُقُوقَ الْآخَرِينَ مِنَ الْيَتَامَىٰ وَالنِّسَاءِ، وَالمُسْتَضْعَفِينَ فِي المِيرَاثِ أَكْلًا شَدِيدًا، وَتُحِبُّونَ المالَ حُبًّا مُفْرِطًا»(١).

❁ ❁ ❁

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

قَالَ تَعَالَىٰ: إِنَّ مَنْ كَانَ لَهُ رَبُّهُ بِالمِرْصَادِ كَانَ مِنَ الوَاجِبِ عَلَيهِ أَنْ يَسْعَىٰ لِمَا يُسْعِدُهُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ، وَعَلَيهِ أَلَّا يَكْتَرِثَ بِعَاجِلَتِهِ.

وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ قَدِ اِسْتَهْوَتْهُ الْعَاجِلَةُ، فَعَكَسَ الْأَمْرَ، فَاهْتَمَّ بِالدُّنْيَا وَبِحُظُوظِهِ مِنْهَا، فَإِذَا اِمْتَحَنَهُ اللهُ بِالنِّعْمَةِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ، وَأَكْرَمَهُ بِالمالِ؛ لِيَشْكُرَ النِّعْمَةَ، قَالَ: رَبِّي فَضَّلَنِي وَأَكْرَمَنِي، وَإِذَا اِبْتَلَاهُ بِالْفَقْرِ وَتَضْيِيقِ الرِّزْقِ عَلَيهِ؛ لِيَصْبِرَ فَيُؤْجَرَ قَالَ: رَبِّي أَهَانَنِي وَأَذَلَّنِي.

فَرَدَّ اللهُ عَلَيهِ هَذَا الزَّعْمَ بِقَولِهِ: لَيْسَ الْإِكْرَامُ وَالْإِهَانَةُ فِي كَثْرَةِ المالِ وَقِلَّتِهِ، وَلَا فِي سَعَةِ الرِّزْقِ وَضِيقِهِ، وَإِنَّما الإِكْرَامُ فِي تَوْفِيقِ الْعَبْدِ لِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَالإِهَانَةُ فِي خِذْلَانِهِ وَالتَّخَلِّي عَنْهُ، وَحِينَئِذٍ يَقْتَحِمُ المَعَاصِيَ اِقْتِحَامًا، كَانَ هَذَا فِي مَعْرِضِ ذَمِّ اللهِ لِأَقْوَالِ الْإِنْسَانِ.

ثُمَّ عَقَّبَ عَلَيهِ بِذَمِّ أَفْعَالِهِ مُخَاطِبًا لَهُ قَائِلًا لِكُلِّ مَنْ يَصْنَعُ هَذَا الصَّنِيعَ المَذْمُومَ: ﴿كَلَّا﴾ إِنَّ لَكُمْ أَفْعَالًا هِيَ شَرٌّ مِنْ أَقْوَالِكُمْ، إِنَّكُمْ إِنْ أُكْرِمْتُمْ بِالْغِنَىٰ لَا تُؤَدُّونَ فِيهِ الحُقُوقَ الْوَاجِبَةَ مِنْ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيهِ، وَلَا يَحُضُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ إِطْعَامِ المِسْكِينِ.

وَقَدْ ذَهَبْتُمْ إِلَىٰ أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي حُبِّ المَالِ؛ حَيْثُ تَجْمَعُونَهُ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، فَتَأْكُلُونَ نَصِيبَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ مِنَ الميرَاثِ، وَتَجْمَعُونَهُ إِلَىٰ نَصِيبِكُمْ، وَتُحِبُّونَ جَمْعَ المالِ عَلَىٰ أَيِّ وَجْهٍ حُبًّا شَدِيدًا مُفْرِطًا حَتَّىٰ لَوْ كَانَ بِحِرْمَانِ أَصْحَابِ أَهْلِ الحُقُوقِ حُقُوقَهُمْ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَلَامَاتِ السَّعَادَةِ، أَوِ الشَّقَاوَةِ كَثْرَةُ المالِ أَوْ قِلَّتُهُ، بَلِ المِقْيَاسُ هُوَ التَّفَاوُتُ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

٢- وَفِيهَا: وُجُوبُ إِكْرَامِ الْيَتَامَىٰ، وَالحَضُّ عَلَىٰ إِطْعَامِ الجِيَاعِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: التَّغْلِيظُ عَلَىٰ مَنْ أَهَانَ الْأَيْتَامَ وَالمَسَاكِينَ، أَوِ انْتَقَصَ شَيْئًا مِنْ حَقِّهِمْ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: الْإِنْكَارُ الشَّدِيدُ عَلَىٰ مَنْ أَسْرَفَ فِي حُبِّ المَالِ، وَسَعَىٰ فِي جَمْعِهِ مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ كَانَ.

(١) «أيسر التفسير» (٥/ ٥٦٩).

www.menhag-un.com

الآيات من: ٢١ إلى: (٣٠) نهاية السورة

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾.

www.menhag-un.com

تفسير الآيات[١]:

ثُمَّ قَالَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾: ﴿كَلَّآ﴾: كَلِمَةُ رَدْعٍ وَكَلِمَةُ زَجْرٍ، مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَمَلُكُمْ.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾: اِسْتَأْنَفَ تَعَالَىٰ الْكَلَامَ[٢]، وَأَتَىٰ بِهَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ بَعْدَ الرَّدْعِ وَالزَّجْرِ، ﴿كَلَّآ﴾: فَهَذَا رَدْعٌ وَزَجْرٌ، أَعْقَبَهُ وَعِيدًا شَدِيدًا ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾: وَالدَّكُّ: الْكَسْرُ وَالدَّقُّ، وَالمُرَادُ: زُلْزِلَتْ.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾: مَجِيئًا يَلِيقُ بِهِ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾: مُصْطَفِّينَ ذَوِي صُفُوفٍ.

«مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُكُمْ، فَإِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ، وَكَسَرَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَجَاءَ رَبُّكَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَالمَلَائِكَةُ صُفُوفًا صُفُوفًا»[٣].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٢٢ - ٤٢٤)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٣٥ - ٥٣٧).

(٢) في «فتح القدير»: [اسْتَأْنَفَ سُبْحَانَهُ فَقَالَ: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾، وَفِيهِ: وَعِيدٌ لَهُمْ بَعْدَ الرَّدْعِ وَالزَّجْرِ].

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

www.menhag-un.com

﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ﴾: مَزْمُومَةً، وَالمَلَائِكَةُ يَجُرُّونَهَا بِأَزِمَّتِهَا(١).

﴿يَوۡمَئِذٖ﴾: يَوْمَ يُجَاءُ بِجَهَنَّمَ عَلَىٰ تِلْكَ الصِّفَةِ ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: يَتَّعِظُ وَيَتُوبُ الْكَافِرُ، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: يُظْهِرُ التَّوْبَةَ، وَمِنْ أَيْنَ لَهُ التَّوْبَةُ؟!

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾: قَدَّمْتُ الْخَيْرَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ لِحَيَاتِي فِي الْآخِرَةِ، أَيْ: لِآخِرَتِي.

«يَأْتِي فِي ذَلِكَ الْيَومِ الْعَظِيمِ بِجَهَنَّمَ، يَوْمَئِذٍ يَتَّعِظُ الْكَافِرُ وَيَتُوبُ، وَمِنْ أَيْنَ الاتِّعَاظُ وَالتَّوْبَةُ، وَقَدْ فَرَّطَ فِيهِمَا فِي الدُّنْيَا وَفَاتَ أَوَانُهُمَا؟

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾: فِي الآخِرَةِ أَيْ: لِآخِرَتِي، يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا يَنْفَعُنِي لِحَيَاتِي فِي الْآخِرَةِ»(٢) الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ﴾: لَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ مِنَ الدُّنْيَا كَعَذَابِ اللهِ الْكَافِرَ يَوْمَئِذٍ.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾: وَلَا يُوثِقُ: لَا يُقَيِّدُ، وَلَا يُوثِقُ كَوَثَاقِهِ أَحَدٌ، وَالْوَثَاقُ: الْإِسَارُ فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ.

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» في (كتاب صفة الجنة، باب ١٢: ١، رقم ٢٨٤٢)، من حديث: ابن مسعود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**».

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

«فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُعَذِّبَ مِثْلَ تَعْذِيبِ اللهِ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُوثِقَ مِثْلَ وَثَاقِ اللهِ، وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مَبْلَغَهُ فِي ذَلِكَ»(١).

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: إِلَىٰ مَا وَعَدَ اللهُ، المُصَدِّقَةُ بِمَا قَالَ اللهُ(٢).

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: اِرْجِعِي إِلَىٰ اللهِ، ﴿رَاضِيَةً﴾: بِالثَّوَابِ، ﴿مَّرْضِيَّةً﴾: عَنْكِ عِنْدَهُ.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾: فَادْخُلِي مَعَ عِبَادِي فِي جَنَّتِي، فِي جُمْلَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ المُطِيعِينَ المُصْطَفِيْنَ الْأَخْيَارِ(٣).

﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾: مَعَهُمْ، فَتِلْكَ هِيَ الْكَرَامَةُ الَّتِي لَا كَرَامَةَ سِوَاهَا، وَلَا فَوْقَهَا.

«يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَبِمَا أَعَدَّهُ رَبُّهَا لَهَا مِنَ النَّعِيمِ لِلْمُؤْمِنِينَ اِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ وَجِوَارِهِ، رَاضِيَةً بِإِكْرَامِ اللهِ لَكِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٢٣)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾، يَقُولُ: «الْمُصَدِّقَةُ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٤) لابن المنذر، وهو قول الحسن، وقتادة، والزجاج.

(٣) وهو قول قتادة، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٢٥)، بإسناد صحيح، واختاره ابن جرير الطبري.

قَدْ رَضِيَ عَنْكِ، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ المُتَّقِينَ، وَادْخُلِي مَعَهُمْ جَنَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»(١).

❁ ❁ ❁

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بَعْدَ أَنْ ذَمَّ سُبْحَانَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَقْوَالِ الْإِنْسَانِ، وَأَفْعَالِهِ أَوْرَدَ شَيْئًا مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَعْقَبَهَا بِتَحَسُّرِ الْإِنْسَانِ المفَرِّطِ فِي دُنْيَاهُ حِينَ يُشَاهِدُ الْأَهْوَالَ، فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْأَرْضَ تُدَكُّ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، وَيُكَسَّرُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا مِنْ جِبَالٍ وَبِنَاءٍ وَشَجَرٍ.

وَيَجِيءُ اللهُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ مَجِيئًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَتَجِيءُ المَلَائِكَةُ صُفُوفًا بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَيُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَها سَبْعُونَ أَلْفَ زِمامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»**(١).

عِنْدَئِذٍ، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ تَفْرِيطَهُ وَمَا قَدَّمَهُ مِنْ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَّعِظُ الْكَافِرُ وَيَتُوبُ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ: وَكَيْفَ تَنْفَعُهُ التَّذْكِرَةُ؟ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ التَّوْبَةُ؟

(١) تقدم تخريجه.

www.menhag-un.com

فَيَنْدَمُ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ المَعَاصِي إِنْ كَانَ عَاصِيًا، وَيَتَمَنَّىٰ لَوْ قَدَّمَ فِي دُنْيَاهُ الخَيْرَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ لِآخِرَتِهِ، وَلِحَيَاتِهِ الدَّائِمَةِ.

وَفِيْ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ تَعْذِيبِ اللهِ لِمَنْ عَصَاهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ وَثَاقًا مِنَ اللهِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ مَا يَبْلُغُهُ اللهُ فِي الْعَذَابِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَعَصَاهُ، وَهَذَا الْعَذَابُ وَالْوَثَاقُ لِلْمُجْرِمِينَ وَالظَّالمينَ.

أَمَّا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ الْآمِنَةُ الَّتِي لَا يَسْتَفِزُّهَا خَوفٌ وَلَا حَزَنٌ، وَهِيَ النَّفْسُ المُؤْمِنَةُ، فَيُقَالُ لَهَا: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ اِرْجِعِي إِلَىٰ جِوَارِ رَبِّكَ وَثَوَابِهِ، وَمَا أَعَدَّهُ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ، رَاضِيَةً فِي نَفْسِكِ بِالثَّوَابِ، مَرْضِيًّا عَنْكِ، قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

وَيُقَالُ لَهَا: اُدْخُلِي فِي جُمْلَةِ عِبَادِ اللهِ الصَّالحينَ، وَاُدْخُلِي الجَنَّةَ دَارَ كَرَامَتِهِ، يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ عِنْدَ الاحْتِضَارِ، وَفِي سِيَاقَةِ المَوْتِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ المَعَادِ بِعَرْضٍ شِبْهِ تَفْصِيلِيٍّ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٢- وَفِيهَا: إِثْبَاتُ صِفَةِ المَجِيءِ للهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَعَظَمَتِهِ دُونَ تَعَرُّضٍ لَا لِتَأْوِيلٍ، أَوْ تَشْبِيهٍ، أَوْ تَمْثِيلٍ، أَوْ تَكْيِيفٍ كَمَا أَثْبَتَهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبَيَانُ وُجُوبِ الاسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: التَّحْذِيرُ مِنَ الاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا.

٥- وَفِيهَا: التَّحْذِيرُ مِنْ تَقْدِيمِ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ.

٦- وَفِيهَا: بَيَانُ شِدَّةِ عَذَابِ اللهِ لِمَنْ عَصَاهُ، وَفَرَّطَ فِيمَا أَوْجَبَ عَلَيهِ اللهُ.

٧- وَفِيهَا: بَيَانُ اِشْتِدَادِ حَسْرَةِ المُفَرِّطِينَ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (ص٥٧١).

www.menhag-un.com

٨- وَفِيهَا: بَيَانُ مَآلِ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ تَبْشِيرِ النَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ بِالْإِيمَانِ، وَذِكْرِ اللهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ بِمَا يَكُونُ لَهَا مِنَ الْبُشْرَىٰ عِنْدَ المَوْتِ وَعِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ الْقَبْرِ، وَعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com